

القَصَصُ الدِّينِي  
الحلقة الرابعة  
العرب في أوربا

# شَارِكُ مَا بَيْنَكَ

عبد الحميد جودة السحار

انتصر شارل مارتيل على الجيوش العربية المتدفقة  
 للاستيلاء على أوربة ، في المعركة التي دارت بقرب  
 « تور » ، وانتهت بقرب بواتيه ، وسقط  
 عبد الرحمن الغافقي أمير الجيوش العربية صريعا ،  
 وانسحب الجيش العربي من فرنسا إلى البيرانية ،  
 مدمرا كل ما مر به .

شد ذلك النصر أزر المسيحيين ، وشحذ  
 عزائمهم ، وجعلهم يعتقدون أن الله صار يؤيدهم ،  
 إذ دب الوهن في صفوف المسلمين ، وراح  
 الصالحون منهم يقولون : إن ما نزل بهم من هزيمة ،

إِنَّمَا كَانَ غَضَبًا مِنَ اللَّهِ ، لِمَا اقْتَرَفُوا مِنْ ذُنُوبٍ ،  
وَلَأَنَّهُمْ اشْتَرَوْا الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ .

وَبَلَغَ خَيْرُ هَذِهِ الْهَزِيمَةِ قُرْطُبَةَ ، فَحَزِنَ النَّاسُ حُزْنًا  
شَدِيدًا ، وَارْتَدُّوا السُّوَادَ ، وَبَعَثَ أَمِيرُ قُرْطُبَةَ بَنِي  
هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَاطِ الشُّهَدَاءِ ، إِلَى الْقَيْرَوَانِ ،  
وَالِى دِمَشْقَ ، فَامْتَلَأَ صَدْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حُزْنًا وَأَسَى ،  
وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَغْسِلَ عَارَ الْهَزِيمَةِ ، فَأَرْسَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ  
ابْنَ قُطْنِ الْفَهْرِيِّ أَمِيرًا عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَجَهَّزَ مَعَهُ  
جَيْشًا ، وَأَمَرَهُ بِالْأَخْذِ بِثَارِ الْمُسْلِمِينَ .

انْطَلَقَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَرَاحَ يَخْطُبُ فِي  
النَّاسِ ، يُذَكِّرُهُمْ بِأَفْضَلِ مَا فِيهِمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى  
الْجِهَادِ . ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ إِلَى كِتَالُونِيَا وَأَرَاغُونِ  
وَنَافَارَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بِلَادِ اللَّغْدُونِ ، وَحَصَّنَ الْمَدِينَ

التي كانت في أيدي المسلمين ؛ ولكن شارل مارتل  
لم يخف لقتاله ، فقد كان مشغولا ببسط سلطته على  
برغونية ، وعلى مقاطعة ليون ، حيث كان المسلمون  
قد شنوا الغارات ، وأوقعوا الرعب في قلوب  
الناس .

اتَّفَقَ يَوْسُفُ أَمِيرُ أَرْبُونَةَ الْعَرَبِيِّ ، مَعَ مُورُونْدَ دُوقِ  
 مَرْسِيلِيَا ، وَزَحَفَ الْمُسْلِمُونَ بِجَيْشِ جَرَّارٍ ، وَعَبَرُوا  
 نَهْرَ الرُّونِ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى مَدِينَةِ « آرَل » ، ثُمَّ  
 تَقَدَّمُوا إِلَى أَوَاسِطِ بِلَادِ الْبُرُوفَانِسِ ، وَحَاصَرُوا مَدِينَةَ  
 سَانِ رَيْمِي ، وَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا ، وَتَدَفَّقُوا كَالسَّيْلِ  
 الْجَارِفِ صَوْبَ « أَفِينِيون » .

وَهَبَّ سَكَّانُ « أَفِينِيون » لَصَدِّ هُجُومِ الْجَيْشِ  
 الْإِسْلَامِيِّ ، وَلَكِنْ تَكَسَّرَتْ مَقَاوِمُهُمْ أَمَامَ تِيَارِ  
 الْمُسْلِمِينَ الْمُتَدَفِّقِ ، وَانْسَحَبُوا مِنْ مَرَّةٍ « دُورَانِس »  
 وَوَقَعَتْ « أَفِينِيون » ، الَّتِي شِيدَ عَلَيْهَا فِيمَا بَعْدَ  
 قَصْرِ الْبَابَوَاتِ ، فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ .

ومات « أود » دوق أكتيانيا ، وعدو شارل  
مارتل اللدود ، فانقضى شارل مارتل على بلاده ،  
واستولى عليها ، وبذلك ازداد شارل قوة على قوة ،  
وبات يتحين الفرص لقتال العرب ، الذين يهدّدون  
بلاده ، والذين يتطلعون إلى وضع أيديهم على أوربة  
بأسرها .

٣

انتصر الأمير عبد الملك بن قطن الفهرى فى  
فرنسا ، واستولى على المدن التى شن الغارة عليها ،  
ثم عاد إلى جبال البرانية ، لتأديب الأهالى الذين  
أعلنوا عصيانهم . راح عبد الملك يُقاتل فى الجبال  
قتال الأبطال ، وإذا بالسّماء تتلبّد ، وإذا بالأمطار



تهطل ، وإذا بالرياح تعصف ، فلم يحتمل رجاله  
غضب الطبيعة ، ف وقعت عليهم هزيمة ، جعلتهم  
ينسحبون من الميدان .

وبلغ الخليفة نبأ هزيمة عبد الملك ، فازداد غضبه ،  
وعزم على أن يبعث أميراً آخر ، يلم الشمل ،  
ويرتق الفتق ، ويُعيد إلى العرب هيبته ، وأن يسير  
في الأرض يذك الحُصون ، ويفتح البلاد .  
كان عقبة بن الحجاج السلولي يتوق إلى الجهاد ،  
ويشتاق إلى الاستشهاد في سبيل الله ، فبعثه أميراً  
على الأندلس .

حصن عقبة جميع المواقع التي رأى تحصينها في  
بلاد اللغدون ، حتى ضفاف نهر الرون ، وشحنها  
بالمقاتلة ، ثم أغار على بلاد دوفنييه ، شمالي

« بروفانس » ، وغربى « سافوا » ، وشرقى  
 « ليون » . واحتل المسلمون أخذاً بشار جيشهم ،  
 الذى قهره شارل فى بلاط الشهداء ، مدينة ليون ،  
 وبثوا الغارات منها على « بورغونية » . فعزم شارل  
 مارتل على قتال المسلمين ، حتى يجلوا عن بلاده ،  
 وحتى ينقطع تهديدهم له .

#### ٤

راى شارل مارتل أن يؤلب حكام البلاد المجاورة  
 على المسلمين : فاستصرخ « لويتبراند » ملك  
 اللومباردين فى إيطاليا ، ليوافيه بجيش لقتال  
 المسلمين ؛ وسرح أخاه « شيلدبراند » بجيش إلى  
 ليون ، فجاء شيلدبراند وحاصر المسلمين فى  
 آفينيون ، وتبعه شارل مارتل بجيش جديد ، وجاء



لويتراندُ ملكُ اللومبارديين بجيش جرّار من إيطاليا ،  
فاستولوا على أفينيون عنوة ، واستأصلوا من بها من  
المسلمين .

وراح شارلُ مارتل يتقدّم صوبَ أربونة ، الحصنِ  
الحصينِ للمسلمين ، وبلغَ عقبه نبالاً تقدّم شارل ،  
وتضييقه الحصارَ على أربونة ، فأرسل جيشاً في  
البحر لنجدة المحاصرين ، ووصل الخبرُ إلى شارل ،  
فانقضَّ فجأةً على الجيشِ الوافِدِ من البحر ، فدبَّ  
الهرجُ في صفوفهم ، وسقطَ أغلبهم صرعاً ، ومن  
بقي هُرِعَ إلى السفنِ الراسية على الشاطئ ، يلتمسُ  
الفرار .

وعادَ شارلُ مارتل إلى حصار « أربونة » ، ولكنه  
أخفقَ في الاستيلاء عليها ، وفيما هو يحاصرها

وردت الأنباء بأن السكسون قد أشعلوا نار الثورة عليه من جديد ، فاضطروا إلى رفع الحصار عن « أربونة » ، وراح يدمر في عودته القلاع والحصون ، فخرّب القلاع التي كانت في « بيزيه » ، ودمر أبواب مدينة « نيم » ، وقسمًا من الملهي الروماني ، الذي كان فيها ، خوفًا من أن يتحصن به العرب .

٥

كان « موروند » دوق مرسيليا ، وحليف العرب ، قد فرّ هاربًا من وجه شارل مارتل ، وبقي مختفيًا حتى غادر شارل مارتل جنوبي فرنسا ، قافلًا إلى الشمال فلما بعد شارل مارتل ظهر موروند ،

وَجَدَّهٗ عِلَاقَاتِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَاحُوا يَعْمَلُونَ مَعَهُ ،  
وَيُغَيِّرُونَ عَلَى بِلَادِ شَارْل .

ضَاقَ شَارْل تِلْكَ الْغَارَاتُ الَّتِي لَا تَقْطَعُ عَلَى  
أَطْرَافِ بِلَادِهِ ، فَزَحَفَ فِي سَنَةِ ٧٣٩ م إِلَى  
الْجَنُوبِ ، وَمَعَهُ أَحْوَاهُ ، وَهَاجَمَ مَرْسِيلِيَا ، وَاسْتَوْلَى  
عَلَيْهَا ، وَبَعْدَهَا قَرَأَ الْمُسْلِمُونَ فِي « أَرْبُونَةَ » ،  
لَا يَجْرُءُونَ عَلَى غُبُورِ نَهْرِ الرُّون .

كَانَ الْعَرَبُ فِي الْأَنْدَلُسِ مُنْقَسِمِينَ إِلَى عَيْنَيْنِ ،  
وَالِىَ عَدَنَانِيَّيْنِ ، وَكَانَتِ الْعَدَاوَاتُ قَائِمَةً بَيْنَهُمَا ، فَلَمْ  
تَقِفْ تِلْكَ الْعَدَاوَاتُ وَالْعَصِيَّةُ عِنْدَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ،  
بَلِ امْتَدَّتْ إِلَى مِصْرَ وَالشَّامِ ، ثُمَّ الْأَنْدَلُسِ وَفَرَنْسَا ،  
وَلَيْتَ الْأَمْرَ اقْتَصَرَ عَلَى انْشِقَاقِ الْعَرَبِ فَحَسَبَ ،  
بَلِ إِنَّ الْبَرْبَرِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ الْعَرَبِ يَوْمَ الْفَتْحِ ،

كانوا يُغضُّون العرب جميعاً ، الأمر الذى كان يَدِبُّ  
فى جسم الدولة الجديدة كما يدبُّ السُّوس فى  
الخشب .

وفى سنة ٧٣٧ م ، فى الوقت الذى كانت  
الحروبُ الرهيبةُ دائرةً بين عُقبة بن الحجاج وشارل  
مارتل ، ثار البربر على أمير إفريقية ، لأنه عاذه  
فوضع الجزية على البربر ، بعد أن كانت قد وُضعت  
عهم . كان البربر أقواماً أشداء ، نشنؤوا على  
صهوات الخيول ، فلم يَقوَ أمير إفريقية على  
إخضاعهم ، فاضطرَّ عُقبة أمير الأندلس أن يُجيزَ إلى  
إفريقية ، لإدخال البربر فى الطاعة . فانتَهز شارل  
مارتل فرصة غياب عُقبة ، وانشغاله بثورة البربر ،  
وراح يُخلِّصُ جنوبى فرنسا من أيدي العرب .

ومات شارل مارتل سنة ٧٤١ ، وخلفه ابنه يبين  
 القصير ، واشتغل في توطيد ملكه في شمالي فرنسا  
 وجنوبها . ولاحت الفرصة للعرب ، ليجددوا  
 غاراتهم على فرنسا ، ويبلغوا منها مآرذهم ؛ ولكن  
 شغلهم عن ذلك الشقاق الذي دب بينهم ،  
 وانشغال الخلفاء الأمويين عن الأندلس بالثورات ،  
 التي كانت تتوالى في الولايات الشرقية ، فقد كانت  
 دولة بني أمية في آخر أيامها تجود بأنفاسها الأخيرة .  
 تغيرت الحال في جنوبي فرنسا ، وخلا الجو  
 للمسيحيين ، برغم ضعف يبين وفتور همته .  
 وراحت الحاميات في نيم ، وفي بيزيه ، وفي

ماغلون ، تخِفُ شينا فشيئا ، وتكونت بها إداراتُ  
أهليّة تُديرُ شئونها ، تتمتع باستقلالها ، وإن كانت  
تعرِفُ بسلطان المسلمين .

وفي سنة ٧٤٧ م ، تولّى يوسفُ بنُ عبدِ الرحمنِ  
الفهريّ إمارةَ الأندلس ، فبعث ابنه عبدَ الرحمنِ  
بجيش إلى البيرائيه ، لتأديبِ الثائرين بها ، ولكن  
المسيحيين قاوموه بالسلاح مقاومةً شديدة ، وأطمع  
ذلك أهالي المَدُن القريبة ، فراحوا يُعلنون الثورة على  
المسلمين ، ويرفعون رايةَ العصيان .

وسارَ بين بجيش إلى اللّانفدون ، واستولى على  
ليم وأقت وماغلون وبيزيه ، ثمّ زحفَ لِحصارِ  
أربونة ، وضيقَ عليها بجميع قوّاته . وطالَ الوقتُ ،  
ولم تسقطْ أربونة ، فعادَ يبين ، وأبقى جانباً من  
عساكره حولها ، تحت إمرةِ أميرٍ من أمراء القوط .



واستدّرجَ العربُ الأميرَ إلى كَمينٍ وقتَلوه ،  
ووقعتْ مَجاعةٌ في جَنُوبِ فرنسا ، عطّلت حركاتِ  
الجِيش ، فرفعَ الحِصارُ عن « أربونة » .

٧

استولى أبو مسلم على خراسان ، وسرعانَ ما ثارَ  
أهلُ العراقِ على الرّواي من قِبَلِ الخليفةِ الأموي ،  
ونوّدَى بابي العبّاس خليفَةَ للمسلمين ، فكان ذلك  
إيذاناً بزوالِ مُلكِ بني أميّة ، ومطلعَ عهدِ العبّاسيّين .  
وراحَ قُوادُ أبي العبّاس يفتفونَ أثرَ الأمويّين ،  
ويقتُلونهم ، ويضعونَ أيديهم على البلاد ، فأصبحتِ  
الشّامُ ومصرُ والمغربُ تدينُ بالولاءِ لأبي العبّاس ،  
مؤسّسِ الدّولةِ العبّاسيّة ، وتقلّصَ ظلُّ الأمويّين عن

الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَبَلَغَتْ أَنْبَاءُ ذَلِكَ الْإِنْقِلَابِ  
الْأَنْدَلُسَ ، فَبَقِيَتْ فِي حَيْرَةٍ ، تَرْقُبُ مَصِيرَهَا .  
رَاحَ الْعَبَّاسِيُّونَ يَقْتُلُونَ الْأُمَوِّيِّينَ فِي الشَّامِ ، وَقَدْ  
أَقْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ شَابٌّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ، هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
ابْنُ مُعَاوِيَةَ ، صَقَرُ قُرَيْشٍ ؛ فَاَنْطَلَقَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ  
وَحْدَهُ ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا مَوْلَاهُ بَذْرُ . وَقَدْ اسْتَطَاعَ  
بَذْرُ كَائِهِ وَدَهَائِهِ وَفِطْنَتِهِ ، أَنْ يُؤَسِّسَ فِي الْأَنْدَلُسِ  
دَوْلَةً أُمَوِيَّةً قَوِيَّةً ، وَأَنْ يُنْشِئَ فِيهَا حَضَارَةً شَامِيحَةً ،  
فَقَدْ كَانَ رَبِيبَ مَجْدٍ ، وَمِنْ بَيْتِ سَيَادَةِ وَسُلْطَانِ .